

SouthMed CV Regional Conference  
3 – 4 December 2017, Amman, Jordan

بناء نظام ثقافي مستدام في دول منطقة جنوب المتوسط

- التغيرات الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية في المنطقة .
- الثقافة في السياسات العامة والتعاونات الإستراتيجية.
- نماذج تشاركية جديدة في صنع السياسات : مجالس الفنون التشاركية، التعاون بين القطاعين العام والخاص.
- دور المؤسسات المانحة في بناء نظام ثقافي.

الكلمة الإفتاحية : أسامة الرفاعي، عضو المجلس الإستشاري للصدوق العربي للفنون والثقافة.

خبراء مشاركون :

- كارول جورتلر، رئيس قسم المشرق، مؤسسة دروسوس
- هيلينا نصيف، مديرة مؤسسة المورد الثقافي
- هشام بوزيد، المدير الفني لمختبر طنجة ( تينك طنجة )
- كريستيان ديدوب، مدير فريق عمل برنامج ثقافة ميد

في البداية أود وأن أعبر عن تقديري للمرونة والقدرة على التحمل التي يتمتع بها قطاع الثقافة والفنون، عندما أتطلع إلى هذا العمل القيم الذي يتم إنجازه من قبل مؤسساتكم، في الأرجاء المختلفة من المنطقة العربية، على الرغم من الظروف الصعبة التي تواجهونها، سواء كان ذلك على الجبهات الاجتماعية أو السياسية أو المالية.

ثم أود وأن أعرب عن إمتناني، للمؤسسات المانحة والشركاء في هذه مبادرة "الثقافة للجميع"، والذين وفروا بسخاء الوقت والجهد، لمتابعة مشاريعكم، والذين يعملون كذلك على التأمل في كيفية إستدامة تلك الجهود فيما بعد.

نود وأن نتحدث في هذا الصباح عن بناء نظام ثقافي في المنطقة العربية. وهنا أود وأن أشير إلى أنني سوف أستبدل مصطلح منطقة جنوب المتوسط، بالمنطقة العربية، بشكل حر تماماً. ففي كل الأحوال، إننا لا نود وأن نقيد أنفسنا في جغرافيات أو حدود إلزامية، حتى لو أصبحت أكثر تجسداً، وأكثر تهيدداً، بل وأكثر إنقساماً. فمن المستحيل اليوم تجريد السياق العالمي الذي نعيش فيه، دون النظر لتأثير منطقتنا العربية على شمال البحر المتوسط، في أوروبا وجنوبها، و كذلك في عمق إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

وأرغب في التركيز أكثر على مستوى الزمان والمكان، والتفكير في وضع الفنون والثقافة اليوم، على مستوى الأهمية والإستدامة المالية. وهما وجهان لعملة واحدة، ويرتبطان كل منهما بالآخر بشكل قد يفوق توقعاتنا.

أولاً، ما أهمية الفنون والثقافة لمجتمعنا اليوم؟ ما أهمية وضرة وحساسية العمل الذي تقوم به مؤسساتكم، بالنسبة للجمهور، والحكومات والقطاع الخاص؟

ثانياً، حينما نتحدث عن الإستدامة، نفكر تلقائياً في التمويل. أين نحن من تنوع المصادر وطبيعة المبالغ المتاحة لتمويل المؤسسات الثقافية في منطقتنا؟ هل نحن في وضع جيد؟ ماذا عن المستقبل؟ هل وصلنا لوضع مستقر للإبحار نحو المستقبل؟

لقد أصبح العالم الذي نعيش فيه معقداً للغاية، وناضل لفهمه. إن حياتنا اليومية تهزها حالة من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي. إن القوى التي تحكم حياتنا سواء كنا في بيروت أو طنجة أو برشلونة، تبدو وكأنها تتفوق على فهمنا. ففي محاولتنا لفهم عالمنا المعاصر، اعتمدنا على وسائل الإعلام التقليدية، التي خضعت لتحكم وتقييد ملحوظ خلال السنوات العشر الماضية، وهو أن معظم الأخبار تأتي من المصادر نفسها؛ وكذلك على مستوى وسائل الإعلام الاجتماعية، تلك التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، وفي تفاعلنا مع بقية العالم، في خلال العقد الماضي.

لقد أصبحت المعلومات آنية ومتاحة للجميع. ففي أي لحظة وأي وقت، يتم قصفنا بأحدث الأخبار والتعليقات والآراء من جميع أنحاء العالم، وفي الوقت الفعلي لحدوثها/ على الهواء مباشرة. لكن الإعلام الذي يتم تقديمه لنا، هو إعلام قد تمت معالجته، بشكل بعيد عن نطاق سيطرتنا، لذا يدفعنا أكثر فأكثر إلى عالم من الإستقطاب، عالم نحن وهم، صواب وخطأ، أبيض وأسود، مع ظلال رمادية قليلة للغاية بينهما. نحن نستهلك معلومات عن العالم، قد تمت معالجتها وصياغتها وصناعتها لنا، على سبيل المثال لنقل بطريقة بسيطة أو مبسطة. لقد أصبح من الصعب علينا التأكد من الحقائق؛ وللحقائق المشوهة والمحرفة تأثير كبير على الأحداث السياسية الحرجة، هنا في منطقتنا وكذلك على الصعيد الدولي.

لا تعمل الرقابة اليوم على حجب معلومات مثلما فعلت في الماضي، بل عن طريق إغراق الناس بطوفان من معلومات ليس لها علاقة بالموضوع محل النقاش. المفارقة في عصرنا هي أننا نعرف القليل جداً عن أشياء كثيرة، وأنه أصبح من الصعب علينا الحفاظ على مسافة نقدية بيننا وبين الأحداث التي تشكل عالمنا.

في مثل هذا السياق العالمي الذي يزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، ومع ذلك الكم من المعلومات الإعلامية المضللة، يظل الفنانون، سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات ثقافية صغيرة، مثل مؤسساتكم، في طليعة متحدي الظلم وغياب العدالة، أنتم من تعطون صوت للمهمشين، وتعملون على ورفع الوعي من خلال سرد القصص، كذلك أنتم من يدعوننا إلى تبني التفكير النقدي، والتشكيك في التبسيط المفرط. يعمل الفنانون اليوم ضد التأثير المنهك لوسائل الإعلام السائدة، ويساعدوننا في التخلص من التناقضات التي نخبرها يومياً؛ فهم يساعدوننا على التفكير، ومسائلة المعطيات، ويمدوننا بأفكار بديلة. وفي رأبي هذه هي الحجة النقدية لأهمية قطاعنا اليوم: إنها حجة يجب أن تتفاخر بها، ونفخر بها، لنوضح السبب في أن عملنا حاسم وضروري، ويجب دعمه.

وهذا يأخذنا إلى التمويل والاستدامة. أفترض أن معظمكم قد نجح في جمع الأموال من المؤسسات الدولية، ولكن التضاريس المجهولة أو غير المكتشفة، التي لا يزال يتعين علينا استكشافها، هي الاستدامة من الداخل. من مصادر داخل المنطقة العربية، من الأفراد، وأيضاً من الشركات. وهذا ما سيسمح لنا حقاً بالاستدامة على المدى الطويل. وعن طريق تنمية الموارد من هذه المصادر، لا أقصد أن أطلب منهم المال، أو التسول، بل بتطوير علاقة مع المستثمرين من المقتنعين بضرورة وأهمية عملكم.

ما هي الحالة الراهنة؟ على الصعيد العالمي، فقد أصبح منح الأموال موضة بين الأثرياء والمشاهير. إن الحماس الجديد للأعمال الإنسانية المستدامة ( Philanthropy )، هو إلى حد كبير نتيجة لما حدث من خلق ثروات سريعة في السنوات الأخيرة، أو يمكننا القول بشكل ساخر، كنتيجة لعدم المساواة والتوزيع غير المتكافئ للموارد على هذا الكوكب. فعلى مدار السنوات العشر الماضية، تضاعف عدد المليارديرات في العالم إلى ٢٠٠٠ ملياردير. أما على المستوى الإقليمي، فنحن نشهد نفس الاتجاه في تراكم الثروة، على الرغم من عدم توفر الإحصائيات.

لكن بعض الدراسات الأخرى، تقول إن دول الخليج الست فقط كانت موطناً لأكثر من ٥٠٠٠ شخص لديهم ثروات قدرت بنحو ٣٠ مليون دولار أو أكثر في عام ٢٠١٦، وثروة إجمالية بلغت ٩٩٤ مليار دولار. لكن المانحين الخليجيين يقدرون خصوصيتهم. وقد قام بنك خاص واحدى الإدارات المتخصصة في الثروات برصد نحو ٢٠ منحة بقيمة ١ مليون دولار فقط في عام 2015. وبمقارنة ذلك على نحو عالمي نجد أنه في المملكة المتحدة كان هناك نحو ٣٥٥ منحة مشابهة. لذلك فإن معظم الأعمال الإنسانية المستدامة ( Philanthropy ) يتم رصدها ومراقبتها.

ذلك بينما تتوقع دراسات أخرى أن يسلم مجموعة من فائقي الثراء من الشرق الأوسط ( ١٦ مليار دولار سنوياً) إلى الجيل التالي في خلال السنوات العشر القادمة. وما قد يفعلونه بهذا الحجم من الأموال يمكن أن يحدث فرقا كبيراً في المنطقة. إن النقص في نماذج العمل الإنساني المستدام الحالي هو أن العديد من الأثرياء لا يزالون يتبرعون بطرق ينقصها الخيال، فهم يدعمون تقليدياً مؤسسات مثل جامعاتهم، ومدارسهم النخبوية، وقاعات الحفلات الموسيقية، والمتاحف الكبيرة والمجموعات الدينية. هذه المجموعة من الأثرياء هي من نرغب في الاستفادة منها في المستقبل، والتي نحتاج إلى نقدم لهم أفكار مبتكرة حول ما يمكن عمله بشكل أفضل من خلال تبرعاتهم.

ولكن ما هي دوافع هذه المجموعات من وراء تلك التبرعات؟ لقد لعب الدين دوراً رئيسياً في الأعمال الإنسانية المستدامة، فقد كانت الزكاة والصدقات جزءاً من ثقافة التبرعات لقرون عدة، وهو أمر متماثل تماماً في كل الأديان الأخرى. فعلى سبيل المثال، في الولايات المتحدة الأمريكية، تمثل التبرعات الدينية، ٦٢٪ من إجمالي التبرعات. أما في العالم العربي، فتبلغ النسبة نحو ٨٠٪. وبشكل عام لا تلعب التبرعات الدينية دوراً في دعم الثقافة والفنون. لذا فنحن نبحث عن أنواع أخرى من المانحين الفرديين والذين لديهم دوافع أخرى. في الواقع هناك عدد قليل منهم، لكنهم موجودون.

وبالطبع، هناك الكثيرون منا من القلقين من مثل هذه المنح، أو قد نشك في وجود دوافع تجارية أو سياسية خفية لدى المانحين الأفراد، قد نشك أيضاً أنهم يشعرون بالذنب بشأن كيفية وطرق كسب أموالهم، أو نرى أنهم يريدون وأن يستمتوا بذواتهم المتضخمة في ظل الإعفاءات الضريبية السخية، أو ربما يتعرضون للضغط من الأصدقاء والمنافسين. ومع ذلك، إلا أننا نعلم أن هناك من يتمتعون بالأخلاق والمبادئ من خلال الأعمال الإنسانية المستدامة. فما أن تصبح ثرياً جداً، حتى يمكنك وأن تحقق طموحاتك القديمة، ولكنك تحتاج إلى إطار جديد لذلك. البحث عن قصة أو سردية يمكنها إحداث تغيير في حياتك، والرغبة في إعطاء شيء مما لديك لمن لا تتوفر لديهم الفرصة أو تعاندهم الظروف.

سوف تأتي هذه الأموال مع أعباء إضافية على أكتافنا. لدينا الآن مدققين لمتابعة ومراجعة التبرعات من الأفراد الأغنياء. في الشهر الماضي، كشفت الأخبار النقاب عن كيف أن عائلة ساكسر، وهي جهة مانحة رئيسية للمتاحف الدولية الكبيرة، كانت قد جمعت ثروتها في مجال المستحضرات الصيدلانية، تلك المستحضرات التي تضمن أحد مسكنات الألم، والذي كشفت الأخبار أن ملايين المرضى قد أدمنوه، ليصنع فضيحة أفيونية. ( candalOpioind S )

العمل على تنمية الموارد من هؤلاء المانحين الأفراد، سوف يدفعنا لتوسيع معارفنا، ولتطوير لغتنا ومصطلحاتها. وبالفعل لقد بدأ قطاعنا في تبني بعض المصطلحات المألوفة في عالم ريادة الأعمال. إن المنخرطين في عالم

الأعمال الإنسانية المستدامة، يتحدثون اليوم عن "الإستثمار الاجتماعي" " العمل الإنساني الإستثماري " ريادة الأعمال الاجتماعية" إن النهج الجديد للأعمال الإنسانية المستدامة لابد وأن يكون "إستراتيجي" "واعي للسوق market-conscious " قائم على المعرفة knowledge-based "وينطوي دائماً على تعظيم "فاعلية leverag" أو التأثير الإيجابي لأموال المانحين. هناك حاجة فعلية لنا للتعرف على هذه اللغة الإصطلاحية.

بالإضافة إلى ذلك، ففي السنوات الأخيرة، بدأت مجموعة من الشركات الناشئة والمؤسسات والأفراد، بتوفير البنية التحتية في سوق رأس المال الخاص بالأعمال الإنسانية المستدامة، وهي طريقة فعالة للمبرعين للأعمال الإنسانية المستدامة، والذين يسعون لتقديم تبرعاتهم إلى رواد الأعمال الإجماعيين وغيرهم ممن يحتاجون تلك التبرعات. وتعتبر الصناديق الإستشارية للمانحين DAF - Donors Advisor Funds، نوعاً جديداً من الممولين. حيث يجمع المانحون الأفراد مساهماتهم، بينما توزعها الصناديق الإستشارية للمانحين. وهو نموذج جديد سوف ينتشر في المستقبل القريب.

في عملية تغيير مفرداتنا، يجب وأن نبدأ في إعادة النظر إلى تعريفاتنا المعتادة. حيث كثيراً ما يشار إلينا كمنظمات غير ربحية.

لذلك من المهم وأن نعزز أنفسنا، من خلال ما ندافع عنه: إننا نعمل من أجل الصالح العام من أجل منفعة المجتمع ككل، إننا نشكل ما يعرف بـ "جمعيات النفع العام". علينا أن نرفض مصطلحات كـ "الجمعيات الخيرية" حيث ينظر الجميع للجمعيات الخيرية، على أنها تلك التي في إحتياج دائم للتبرع، وفي كل الظروف، ينظر إلينا الجميع على أننا محتاجين. ولكننا لسنا محتاجين؛ إننا نعمل مع المجتمع ونلبي إحتياجاته. علينا أن نأخذ فكرة بطريقة أخرى عندما نعمل على تنمية مواردنا، علينا التحول من طلب الأموال والتسول إلى التنمية، عبر عملية لإيجاد القيم المشتركة مع المستثمر Investor، وليس مع مؤسسة مانحة onorD. علينا أن نعرف كيف نكون واحدة من تلك المؤسسات التي تستطيع الإستثمار.

هذا لن يحدث دون أن نواجه العديد من التحديات. عندما حاول بعض الداعمين للعمل الإنساني المستدام Philanthropists تنفيذ مشاريعهم الخاصة، بدلاً من الإستثمار في المبادرات القائمة. رأى العديد منا هذه الظاهرة بشكل سلبي، وكأنها محاولة للتقليل من موارد مؤسساتهم ومبادراتهم. لقد افتتح البعض مراكزهم الثقافية الخاصة، وصرفوا عليها كل أموالهم، لتنفيذ نفس الأنشطة التي تنفذها المؤسسات والمبادرات القائمة لسنوات عدة.

هناك قضية أخرى هي ما أسميه "غيتس" (بالإنجليزية Gates-ization of Philanthropy)، (في إشارة إلى مؤسسة غيتس (Gates Foundation) بشكل متزايد، يتعاون الداعمين للعمل الإنساني المستدام من القطاع الخاص، لجمع الموارد من أجل "أقصى تأثير maximum impact". يتم تخصيص الموارد للمشروعات الكبيرة القابلة للتطوير، والتي تستهدف في الغالب توفير خدمات ذات نتائج قابلة للقياس، مثل استئصال أو علاج الأمراض. (لا تنطبق تلك الأفكار على الفنون والثقافة لسوء الحظ)

والآن يمكننا النظر للأخبار الجيدة. هناك عدد متزايد من الداعمين للعمل الإنساني المستدام من الشباب. الإنتقال من "الثروات القديمة التقليدية" للـ "الثروات الجديدة" حيث قطاع كبير من الشباب يرثون أو يبنون ثرواتهم، وهم أكثر ارتباطاً بمفهوم العمل الإنساني المستدام. هؤلاء الشباب هم أصدقاؤكم في المستقبل.

الآن سوف أختتم كلمتي بالنظر نحو المستقبل.

- هناك ثروات كبيرة سوف تتجه لدعم عملنا

- المانحون سوف يصبحون أكثر تطوراً وأكثر إلحاحاً في دعم قطاعنا
- سوف ينمو التمويل الجماعي التشاركي Crowdfunding وكذلك التبرع الإلكتروني E-Giving
- الشركات العملاقة سوف تتبرع بشكل أكبر لجمعيات النفع العام
- سوف يكون هناك تدقيق أكبر على عملنا في تنمية المصادر.

نصيحة ١ - علينا تطوير منصات للمبادرين من المانحين، وعلينا كذلك إزعاجهم، إننا قطاع إبداعي على أي حال.  
نصيحة ٢ - يجب وأن تتمتع بالدهاء التكنولوجي Tech-savvy وأن نكون متصلين إلكترونياً دائماً، يجب أن تتعلم ذلك.

نصيحة ٣ - استخدم البيانات، إبحث عن مانحين، مشروعات، نماذج مبتكرة للدعم  
نصيحة ٤ - يجب تطوير قدراتنا للحصول على منح ضخمة، ويجب أن يتم تضمين ذلك في خطط تطورنا الإستراتيجية، لأنها توفر عائد ضخماً لإستثمارك لوقتك ومواردك.  
نصيحة ٥ - علينا أن نصبح خبراء في التنمية، وفي العثور على المستثمرين وكذلك في تنمية مصادرها من المؤسسات المانحة أيضاً

أسامة الرفاعي